(مِحْوَر مَائل)

.شوقي مسلماني.

شؤونٌ وشجونٌ
يخطّها المطرُ على زجاج النافذة.

في كلّ إتّجاه عابرُ سبيلٍ
أو قاطعُ طريقٍ أو مصلحٌ إجتماعيٌّ
أو يائسٌ أو باحثٌ أو مستخِفٌّ
أو متثاقلٌ أو صيّادُ فِرّ أو صيّادُ سمك.

قلِقٌ، ومن الكلِّ فيه:
نورسٌ، يمامٌ، بطٌّ، فلامنكو،
سمرمر، وحيدُ القرن، تمساح،
ابن آوى، كوالا، أناكوندا،
دينغو، نعجةٌ، ريمٌ،
شجرُ صفصاف، شجرُ كينا،
صنوبر، أرز، ملّول،
نعناعٌ، مركدوش، صعترٌ، رشاد،
سمكُ سلطان إبراهيم، سمكُ بوري،
أسدُ البحر، فيلُ البحر، حصانُ البحر،
قنفذُ البحر، بعوضٌ، نملُ اللهب ونملٌ أبيض.

في كلّ ناحية

ومن دون قدرة على ناحية
بدليل ما يهرب.

حركةٌ تورِّث حركةً،
شساعةٌ تورِّث شساعة،
وموتٌ يورّثُ موتاً.

لديه وجهة نظر وليست لديه جهة
ولديه عادة غير صحيّة هي النسيان.

بلادٌ ليس فيها بلاد
وأحبّةٌ ليس لهم أحبّة.

ينحدر ويفقد،
مرّاتٍ الحماقةُ فخرُ صناعة،
النباهةُ دونها مناعة،
الطريق جلّها حظّ
والإقبال مرّاتٍ عودةٌ إلى الوراء.

كان يكرّر
أنّه أكثر ما يكون مطمئنّاً
عندما يكون وحده.

يتقدّم كأنّما

إجلاءً للوقت.

في كلّ خطوة
أثرٌ يطفو ولا يطفو،
يرسخُ ولا يرسخ، يرحلُ ولا يرحل،
يرجعُ ولا يرجع.

له بلادٌ
جراحٌ كلّها
وانكسارُ الكلّ.

مرّاتٍ ما أكثر غيابه،
ما أكثر ما يلتفتْ إلى أصنام.

يحلمُ ولا يحلم،
يبتعد ولا يبتعد،
يعلم ولا يعلم
ويقف ولا يقف.

يُوهَب، يهِب،
يُسلَب، يَسلُب،
يتخيَّر ولا يتخيَّر.

في وجهه شفَق، في وجهه مخلب،

في وجهه رجل صالح أو إمرأة صالح،
في وجهه مكر، في وجهه طيبة، في وجهه ألم.

المفارقة هي
أنّ الحدود ليس لها حدود.

قطرةً فقطرةً
صارَ البحرُ الشاسع
وقطرةً فقطرةً يجفُّ.

يخرج فيدخل ويدخل فيخرج.
الجَمالُ هو أن يُفسِح قلبٌ أمام قلب.
القلبُ شساعةٌ فيها زهور، فيها شجر.
الجَمالُ روحٌ نبيلة تمسّها روح نبيلة.

أكثر الآذان لا ترى، أكثر العيون لا تسمع،
أكثر المسير لا يصل وأكثر النقل بلا عقل.

طوْرُ الشتاء الريّ، طورُ الربيع الخضرة،
طورُ الصيف الكرَم وطورُ الخريف التيه.

الآخرُ
في محلٍّ آخر.

المكانُ الأقرب
هو الأقرب في الذاكرة
والمكانُ الأبعد
هو الأبعد في الذاكرة.

العقلُ رِقّة.

**

كلُّ حِكمة هي أفق
وكلُّ أفق هو عالَم
وكلُّ عالَم هو مجرّة.

يكرّ، يفرّ،
يعلم، لا يعلم،
يعمل، لا يعمل،
يأمل، لا يأمل،
يحلم، لا يحلم،
حرّ وعبد.

المتردّدُ عاقِبتُه وخيمة،
المتواني عاقِبته وخِيْمة،
المستعجلُ عاقِبته وخِيمة،
عاقبةُ الصبر الزائد وخيمة،

الصمتُ الزائد عاقِبتُه وخِيمة،
رؤيُة نصف الكأس عاقبتها وخيمة،
الغفلة عاقبتها وخيمة،
عاقبةُ التشدّد وعاقبةُ الخيانة وخيمة.

قلّما اتّعظَ،
قلّما استدركَ،
وقلّما اعتزمَ.

منه صعاليك يطلبون الحريّة غير منقوصة
ولهم كلمة فاصلة مع قطّاع الطرق الحقيقيّين.

في بلادٍ ظهرُه محني
وفي بلادٍ رأسُه مرفوع،.

سريع الغضب لأتفه سبب،
يسلب وينهب وله أسواق نخاسة.

لا أثر خلفه
ولا أثر في مكانه.

الإسمُ أو العنوانُ له وزْن وازِن،
الصدق له وزْنٌ وازِن، التكامل له وزنٌ وازن،
الجديّةُ لها وزنٌ وازن،

المسألةُ ليست في التشويق،
المسألة هي في محلّ آخر،
هي في ماذا أو كيف يعمل؟،
كيف يفكِّر؟، بماذا يحلم؟،
ما حجم مسافته بالألم؟،
رأسُه هو رأسُ عصفور أم رأس حيّة؟،
رأس ديناصور أم رأس سلحفاة؟،
رأس إبرة أم رأس جبل أو صاروخ؟،
المسألة هي أنَّ الرأس موجود،
وما دام موجوداً
هو حتماً له أسباب هي جزء مِنَ التكوين،
وما دام جزءاً من التكوين
يجب أن نفهمه كي نفهم التكوين،
وقد يقول قائل إن الناس لهم ما يكفيهم
أو لكلٍّ ما يكفيه،
والحقيقة هي أن السؤال يسبق الجواب،
وهذا بديهي،
ولكن ليس كلّ بديهي هو بديهي،
ما البال أن يُقال:
لا جواب قبل سؤال؟،
السؤال له يد سخاؤها لا ينضب،
يبعث، ينطق،
يعمِّر، يسيّل الدمَ،
يزرع، يصنع،

السؤال هو أوّل مَنْ نزل،
وقبل آلاف السنين،
على سطحِ القمر،
والجواب سيأتي ولو بعد حين.

المسألةُ هي ألاّ نقول "فاتَ الأوان"،
الحديث هو عن مسألة حياة أو موت،
مسألة "حياة أو موت" ليست بديهة،
عبارة "قبل فوات الأوان" أبداً ليست بديهة،
ليس الإزدحام مثلاً عفويّاً،
ليس الإعتداء مثلاً عفويّاً،
القهر ليس عفويّاً،
المؤامرة ليست عفويّة،
الفقر ليس عفويّاً،
الإزدحام له جُذور، الإعتداء له جُذور،
الفقر له جذور، الجوع له جذور،
العطش له جذور،
وجذورٌ للإحتراق، للترمّد،
للإضمحلال، للكلّ.

كان حيّاً لا ميتاً،
كان ميتاً لا حيّاً،
وكان حيّاً ميتاً
وميتاً حيّاً.

**

بعضٌ ممّن فيه
يعرف ولكنّه لا يصرّ،
يسير آليّاً أو يمشي مواربا،
بعضٌ ممّن فيه أسأتُ إليه وأساء إليّ
أو أنكرتُه وأنكرني، لم أنصره ولم ينصرني،
لم أره ولم يرني، قديماً وحديثاً،
بعضٌ ممّن فيه يغني الأغاني الحزينة أو دائماً راحل،
وبعضٌ ممّن فيه ناطق ولكنّه أبداً لا يريد أن يتكلّم.

له رأس وليس له رأس
ذو الخناجر، ذو الأساسات، ذو الألوان،
وهو ذاته وليس هو ذاته.

رأى عواصفَ، رأى أعاصيرَ،
آثارَ أممٍ غابرة، أمماً تئد أمماً،
ما لا يُحصى، أنهارَ دمّ، سنابكَ خيل،
سهاماً، صواريخ وفراشات،
رأى مَنْ يقول ومَنْ يصمت،
مَنْ يعقل ومَنْ يجهل،
مَنْ يُحذِّر ومَنْ لا يُحذّر،
من يعتبِر ومن لا يعتبِر،

مَنْ يُدبِّر أو يتدبَّر
ومن لا يدبِّر ولا يتدبَّر أو يتهوَّر،
ورأى الجريءَ الرائيَ
والضعيفَ المقفَلَ المحاصَر،
رأى حكماء بعضهم على أتن
تتبعهم أمم ولكن قلّما وصلوا،
رأى حكماء بعضهم فاتح
ولكن قلّما انتصروا،
رأى الأرض المظلمة
ورأى في السماء قمراً.

كانت تلال طائفيّة،
تلال مذهبيّة، تلال شوفينيّة،
تلال طبقيّة، تلال أكاذيب وتلال خوف.

المذهبيّةُ كثيرة، الطائفيّة كثيرة،
العنصريّة كثيرة، الكراهية كثيرة،
الألمُ كثيرٌ والوحلُ كثير.

القِلّةُ تُفسِحُ للكثرةِ
لكي تكون ضربة سيف واحدة.

المفاجأة
هي أن تنظر إلى الحمل

فإذ هو ذئب،
المفاجأة
هي أن تنظر إلى النسِر
فإذ هو دجاجة،
المفاجأة
هي أن تنظر إلى الأسد
فإذ هو فأر،
المفاجأة
هي أن تنظر إلى وجهٍ شفّاف
فإذ هو وجه غليظ،
والمفاجأة
هي أنّه لا يزال يتفاجأ.

مقارنةٌ بينه وبين القمر، كلاهما لطيف وحالِم،
مقارنةٌ بينه وبين النجمة، هو بعيد وهي أيضاً بعيدة،
مقارنةٌ بينه وبين البرق والرعد، مثلهما هو يشرقط ويهدر،
مقارنةٌ بينه وبين التمساح، معاً يشقِّفان الضحيّة،
مقارنةٌ بينه وبين العقرب، العقربُ يلدغ مثله،
أذهله الشبه في التقاسيم الداخليّة.

بعضُه أقبلَ مشرِقاً، بعضُه آفلاً معتِماً،
بعضُه اختنقَ صوته، امّحى أثرُه، وها هو منه حجر،
بعضُه وحده، وعلى مسافةِ مئات ملايين الأميال مِن كوكبنا
يصطاد بقصبةٍ مِنْ ضوءٍ تنهيدةً في نهرِ يابس،

بعضه عند قمّة جبل، ولكي يطلعَ الفجرُ مطمئنّاً،
يقف شامخاً كتمثال،
وشجرةَ تفّاحٍ سرقتْ تفّاحتَه الوحيدة.

مِنَ الشرق جاء،
مِنَ الغرب، مِنَ الجنوب،
مِنَ الشمال، مِنَ الماء والنار،
مِنَ الجهة ومن الجهة المعاكسة،
من البرق والرعد، من نملِ اللّهب،
مِنْ الغربة ومِنْ حصانِ إبليس،

يفكِّر على نحو منطقيّ وعلى
نحو غير منطقي أو نحو عشوائيّ.

يمرّ ولا يمرّ، ينتفض ولا ينتفض،
يحتمل ولا يحتمل، يسعى ولا يسعى،
يهتمّ ولا يهتمّ، يمضي واثقاً، متردّداً، ويضمحلّ.
**

لا علم ولا مَنْ يتعلّمون، لا نهضة ولا مَنْ ينهضون،
مدارس كلاسيكيّة، مدارس رومنطيقيّة، مدارس رمزيّة،
مدارس سرياليّة، مدارس تكعيبيّة، مدارس تشكيليّة،
مدارس تجريديّة، مدارس تجريبيّة، مدارس حداثويّة،
مدارس ما بعد حداثويّة،

وجميعها لم تستطع أن تفتح نافذة
في مدرسة خبْط عشوائيّة واحدة.

هل يروق لكم أن لا يكفُّ الدجاجُ عن نقدِنا؟،
هل يروق لكم أن ينكسرَ الموجُ على على الصخر
وكلّ قصد البحر أن يصيبنا بالرذاذ،
كما يُقول بالهدير، علّه يزيل بعض الأدران عنّا؟،
هل يرضيكم أن تكركرَ العصافيرُ بالزقزقة
والأنهرُ والسواقي بالخرير
والأشجارُ بالحفيف والأبقارُ بالخوار والأغنامُ بالثغاء
والحميرُ بالنهيق والخيولُ بالصهيل والذئابُ بالعواء
والكلابُ بالنباح والأفاعي بالفحيح ضحكاً منّا وعلينا؟،
هل يرضيكم ألاّ تكفّ الضفادع عنِ النقيق
لكي تحرمنا النومَ الهانئَ العميق؟!،
هل ترضون أن نغدو لقمةً سائغة
يعلكُها الأسدُ أو الفهد أو النمِر
أو الضبعُ أو إبن آوى أو إبن عُرس أو كلّ إبن عَرص؟!،
هل يرضيكم أن تجترَّنا الأبقارُ والجِمالُ والأغنام
وأن تتهامسَ الفراشاتُ مع الزهورِ أنّنا أجلاف وعلوج؟!.

وأنا في سبيلي إليكم لكي أكون في حضرتكم
حظى بي فيلٌ عند بعض الماء وقال لي بالرنيم:
"أيّها الأخرق، أيّها الأحمق، أيّها الأصفق،
كيف يموت واحدٌ منكم ولا يمشي بجنازته أحدٌ منكم؟،

ألا يوجد أيّها الحقير في جنسكم دم؟،
إنّ ما أنتم فيه هو عين الضلال،
أليست فيكم كلمة طيّبة؟، ألا تصنعون صنيعاً طيّباً؟،
ألا تشربون فراتاً طيِّباً؟، ألا تسلكون مسلكاً طيِّباً؟،
ألا تقلعون عن الخزي والعار الذي أنتم فيه؟،
الكبير والصغير والمقمّط في السرير،
مِنَ القطب الجنوبيّ إلى القطب الشماليّ،
يبلغه خبركم المشين،
والنارُ تأكلهم قهراً منكم
مثلما تأكل النارُ في الهشير أو في الهشيم،
قلْ لقومِك الأشرار مثلك
إنّي كما نفى أفلاطون قوماً مِنْ جمهوريّته الفاضلة
يوماً سأنفيكم مِنْ مملكتي"،
ولكَشَني بخرطومه
وأوقعني أرضاً،
وأنا أنهض قالَ لي غرابٌ في الجوار،
وهو ذاته اللعين الذي أضرمَ النار
في بيت خشبيّ فقيرٍ كان يؤويه:
"أيّها النكِرة، قلْ لأهلك النكرات مثلك
إنّ كلامَ الفيل هو فيل الكلام"!.

"لماذا يا قومي كلّ ذي أنفٍ أو منقارٍ أو خرطومٍ
يريد أن يدسّ أنفَه أو منقارَه أو خرطومَه بشؤوننا؟!.
بالأمس، وبعد كدْحي كدْحَ حميرٍ مجتمعةٍ،

آويتُ بعد غياب الشمس إلى مرقدي لكي أنام،
هبطا إليّ مِنْ طاقةٍ صغيرة قريبة مِنَ السقف
خفّاشان ضئيلان حقيران
مِنْ جنسِ الخفافيش مصّاصة الدماء،
ومِنْ فورِهما جرحا عقباً لي بمباضع لهما
وخدّراني موضعيّاً
وتناوبا على اللّعق مِنْ دمّي وشتْمِ أبي وأمّي
وقال أحدهما لصاحبه:
"هؤلاء التافهون لأكرعنّ مِنْ دمِهم ما حييت"،
وبعدما إمتلأ بطناهما
طارا عبْرَ الطاقة ذاتها إلى شأنيهما
وأنا طوال الوقت لم أحرّك ساكناً
لعلّي أتعلّم عليهما لغتهما الوطواطيّة
فأفهم عنّا كيف يفكّران وماذا يقولان بحقّنا،
وأُقسِم لكم لئن رجعا إليّ أنّي سأدوسهما،
سأفعسهما، سأمعسهما، سأهرسهما".

وقبل أمس نسرُ الجيف،
لمّا أنبأه الهواءُ عمّا في المسافة،
كان عندَ كتف جبل شاهق،
أفردَ جناحيه وطار،
ومن عليائه
رأى من يضرم النار في نافِقِنا
حتى لم تغادره إلاّ وقد سوّتْه رماداً.

وظلَّ النسر حائماً في السماوات العلى
يلفّ ويدور ويلعنّا بالصفير
أنّه لم يفز منّا ولو بفرمةِ لحمٍ واحدة
حتى لحقَ به قومه
وشرعوا يلفّون ويدورون معه وحوله
وهم يطيّبون خاطره
لكي يرجع معهم إلى وكرِه ويرتاح
قبلَ أن تخور قواه ويسقط ويفكّ رقبتَه.

كيف أغار لِمَنْ لا يغار لي؟،
كيف أفرح بِمَنْ لا يفرح بي أو لي؟
وكيف أشتاق الى الذي لا يشتاق لي؟!.
**

رأيتُه يرى المساحةَ الخضراء،
رأيتُه يرى المساحةَ الرماديّة،
رأيتُه لا يرى المساحة،
رأيتُه تحتَ المساحة،
رأيتُه يحرث ويبذر في المساحة،
رأيتُه يحبُّ ويرى الزهورَ والورود،
يصغي لشدوِ الطيور عندَ المساحة."

الصعودُ
أن ترفع رأسك،

النظرةُ موسيقى الأحلام،
الشمسُ المشرقة قبضتك.

سطْوٌ مسلّح
تمارسه أمم.

المسألة
هي من أنتَ
أو أين تقف؟.

يكره المفاجأةَ السيّئة،
قلّةَ الأمانة، قلّةَ الشهامة
وكثرةَ الإرتداد.

الجودُ عنده،
النخوةُ، الشهامةُ،
وافتداءُ الآخَر

الساكنُ يبدو ثابتاً،
وفي الواقع هو متحرّك
بعقليّته، بغريزته.

قبل آلاف السنين
نزل على سطحِ القمر

يومَ أوّل ما نظرَ إلى السماء
وأمعنَ النظر،
رأى أناساً آخرين،
غابات، طيوراً، أنهاراً، بحيرات،
بحاراً، صحارى، جبالاً، أودية،
مروجاً، سهولاً، حقولاً، بيوتاً،
حُبّاً، حروباً، أحلاماً، آمالاً،
قردةً على أجناس، دوابّاً من أجناس،
زواحف، برمائيّات، حشرات،
وعندما لم يكن ينظر مليّاً كان يهبط،
الحوادث تتكرَّر.

يأتي صوتُه مِنَ القريب والبعيد،
مِنَ الحركة الظاهرة والحركة الباطنة،
مِنَ الإحتراس، مِنْ الأبراجِ العالية،
مِنْ مستوصفات ومستشفيات،
مِنْ جنائن، مِنْ سفنٍ شراعيّة،
مِنْ أجنحة، مِنْ ببّغاء، مِنَ الحيّز المرجانيّ،
مِنْ جزيرة في عرضِ البحر
يستريحُ فيها طائر ألألباتروس،
من اللقالق، من الحراذين، مِنَ الجراد،
مِنْ عواصف رمليّة تهبّ كثيراً،
مِنْ حفيف أوراقِ الشجر،
مِنْ زغاريد فرَح ينكمش،

مِنْ عِزّةِ النفس التي تنكمش،
مِنْ حَجَر، مِنْ جَرَس،
من إنتظام، مِنْ كأس محطّم،
مِنْ شقاء، مِنْ نقاء، مِنْ أصدقاء،
مِنْ صوتٍ رخيم، مِنْ صوتٍ جهوريّ،
مِنْ فوّهةِ بركان،
من شلالات،
مِنْ لحيةٍ تصل إلى الأرض،
مِنْ ثقبٍ في القلب يتّسع،
مِنْ منفضةٍ تطفح بأعقابِ السجائر،
مِنْ بساطِ الريح، من الفانوس السحري،
مِنْ حركةِ المدِّ والجزْر،
من الدموع، لا يأتي من الفراغ.

"كلّما اشتدّ الليل
اشتدّ القمر".

"يا أولِبْرايتْ
لا تقهروا الإنسان".

يا من تقف خلف الستارة أنتَ ماذا تدبّر؟،
هل تدبّر بركاناً؟ هل تدبّر زلزالاً؟ هل تدبّر حروباً؟
هل تدبّر أوبئة؟ هل تدبّر إصطدام قطارين؟
هل تدبّر غرَقاً؟ هل تدبّر إحتراقاً؟ هل تدبّر نهْشَ حيّة؟

هل تدبّر ناباً؟ هل تدبّر مخلباً؟
منذ قديم وحتى قلْ منذ البدء هل تدبّر لصّاً؟
هل تدبّر سماء قاسية وأرضاً قاحلة؟ ماذا تدبّر؟.

"تعدو الذئاب على مَن لا كلاب له
وتتّقي صولةَ المستأسد الضاري".

"حتى الكلاب إذا رأته عابراً
نبّحت عليه وكشّرت أنيابها".

قفزاتٌ تأمل أكثر ممّا تعمل
وقفزات تدمّرُ أكثر ممّا تعمِّر.

كثيرون
يصلون الليل بالنهار
والنهارَ بالليل
ولا يصلونَ إلى نهار
ولا يخرجون مِنْ ليل.

حيث تتكاثر
مقاصلُ القروض
تُباعُ بلادٌ بالجملةِ والمفرّق،

لا فوقها لها ولا تحتها لها،

بلادٌ فاسدةٌ بين جبٍّ ودبّ.

عيونٌ ذئبيّة، عيونٌ زجاجيّة،
عيونُ غافلين عنِ الخطرِ المحدِق بهم،
عيونُ تائهين لا يعرفون المكان ولا يعرفون الزمان
ولا حتى ماذا يعني الوقت.

وشجرة
في المسافة
ترفع قميصها الأخضر
لكفيفٍ يبحثُ عن نظرٍ.

**

قرّرَ أن يثأر
ممّن أخذوه لحماً ورموه عظماً.
خرجَ إلى البريّة،
تثاءب، تمطّى،
واعتبرَ ذلك تسخيناً وتدريباً كافيين.
كشّر مثل كلب دوبرمان،
ركض وطار مثل سوبّرمان،
صاح عندَ سحابةٍ عابرة مثل طرزان حي بن يقظان،
رفسَها، شرقطتْ وزمجرتْ،
وهبط وهو يرفس كأنّه في مسّ.

وقعتْ لبطةٌ في أمّه، وقعتْ لبطةٌ في أبيه،
وقعتْ لبطةٌ في جدّةٍ له فاستعجلتْ وقضتْ،
وقعتْ لبطةٌ في حمل لا ناقة له بعدُ في الدنيا ولا جمل،
وقعتْ لبطةٌ في حائط هو كلّ ما تبقّى
من بيت عتيق بعدَ غارة ربطةِ العنق، الشوكةِ والسكّين،
رفعتِ العجوز يديها إلى السماء
وتمنّتْ لو تأخذ بخناق القوم الظالمين،
وقعتْ لبطةٌ في بطّيخة انفجرتْ وطارتْ شظاياها
واصطبغتْ حجرانٌ بدمِها الأحمر الوردي،
وكلبٌ ينبح قائلاً:
"يا حمارَ الحمير إنّك تؤذي أهلك المقهورين مثلك".

وتسلّلَ التعبُ إلى بدنه،
طلبَ الراحةَ بظلِّ صخرة،
اشتدّتْ شمسُ الظهيرة،
شرقطَ وأضاءتْ في رأسِه فكرة،
زفرَ وشهقَ مصدراً صوتاً ولا أنكر
قولوا هو زمّور خطر،
نادى على أشباهه
في الخَلق والخُلُق ليهبّوا إليه،
هبّوا إليه
مِنْ كلِّ فجٍّ عميق
وجلّهم تيوس، أكباش وثيران،
قال لهم:

"سلاح اللبيط هو سلاح العبيط
مثله مثل سلاح العضّ
الذي يتباهى به الكلب
العامل نبّاحاً في الليل وفي النهار
بأَجرٍ قدره عظمة
غالباً هي جرداء
ولا لحسة لحم عليها،
قرّرتُ أن أفني الأعداء
بالضربة القاضية".
وحثّهم أن ينتشروا في طول البلاد وعرضها
بحثاً عن كلِّ جهبذ
بعلوم الغازات التي تمتلئ بها بطون لعمل قنبلة
وألاّ يعودوا إليه وهم قرنٌ مِنْ أمام وقرنٌ مِنْ وراء.
صاحَ تيسٌ غاضبا:
"بالأمس قطّع ساطورٌ منهم ساعوراً منّا،
الويلُ والموتُ لهم".
وخرجوا ورجعوا بحزمةٍ مِنَ الجهابذة
الذين بعضهم صناعة وطنيّة وبعضهم صناعة أجنبيّة.
قالَ الجهبذُ جحْششْتاين:
"لكن بشرط أن نمحو العصافير
والفراشات والزهور
وحفيفَ أوراقِ الشجر
وحكايات المطر أيضاً".

ولا يليق أن نستفيضَ في الفيلم
لكي لا نفسد عليكم متعة مشاهدته،
فهو رائع في قصّته،
في موسيقاه التصويريّة التي أين منها موسيقى فيلم "سايكو"
لمخرج أفلام الرعب الشهير أَلِفْرِد هيتشكوك
التي تُجهِض الحامل البكر وتصيب بالشيب رأسَ الوليد،
وحدِّثوا ولا تملّوا عنِ المونتاج والإنتاج والإخراج
والمؤثِّرات الصوتيّة
وغير ذلك ممّا في صناعة السينما المتقدِّمة،
ولكن أخيراً تنشب النيران في أبنية
وهي على ألوان
منها الأزرق ومنها الأخضر ومنا الأصفر،
ونرى أكداسَ النافقين
وبينهم كبيرهم جحْشَشْتاين،
ثمّ نسمع حركةً في مختبرٍ محطّم،
تُسرعُ إليه الكاميرا
وإذ هو بطلُ الفيلم ملقى على ظهره
وكلّ شيء فيه هامد
سوى بطنه ينخفض ويرتفع
كأنّما لا يريد أن يهمد
قبل أن يهضم بعدُ لقمةً أخيرةً فيه
أو بسببٍ مِنْ قوّةٍ عجيبةٍ غريبةٍ
لا تزال نابضة
في هذا الكونِ العجيبِ الغريب.

**

لكلِّ مقامٍ مقالٌ أم لكلِّ مقالٍ مقام؟،
لكلِّ مسافةٍ حياةٌ أم لكلِّ حياةٍ مسافة؟،
لكلِّ زمانٍ عقلٌ أم لكلِّ عقلٍ زمان؟،
لكلّ حيّزٍ حركةٌ أم لكلِّ حركةٍ حيِّز؟،
كلُّ عينٍ فيها دمعة أم كلُّ دمعة فيها عين؟
وكلُّ جسم في رحيلٍ أم رحيلٌ في كلِّ جسم؟.

يقول ويشدِّد أو يهدِّد،
يُنقِص ويُضيف
عبْر القرون وآلاف السنين
علَّ من يعتبر
أو علّ هناك مَنْ يريد أن يعتبِر.

"بئسَ مَنْ أدركَ الفكرةَ
وتخلّ أو تخلّفَ عنها،
بئسَ مَنْ أدركَ الفكرةَ
وغفل أو إرتدَّ وإنقلب".

"أعلّلُ النفسَ بالآمال أرقبُها،
ما أضيق العيش لولا فسحة الأمل".

"أقسِّمُ جسمي
في جسومٍ كثيرةٍ،
وأحسو قراحَ الماء
والماء بارد".

البيتُ الذي ليس فيه بيت،
القلبُ الذي ليس فيه قلب،
الوجهُ الذي ليس فيه وجه،
الرأسُ الذي ليس فيه رأس،
النهرُ الذي ليس فيه نهر،
القمرُ الذي ليس فيه قمر،
الضوءُ الذي ليس فيه ضوء.

أن تصعدَ ولكن كيف؟،
على سلّمٍ من عظامٍ وجماجم
أم على سلّمٍ من موسيقى الحب؟.

خرجَ البحرُ
ليعيشَ في بحرٍ آخر،
"الواقع أغرب مِنَ الخيال".

لابدّ مِنْ كَسَلٍ لتطيرَ فراشة،
كنّا هناك وهم رأوا محيطات مِنْ غابات،
كان الظَهرُ محنيّاً ولا يتكاثر إلاّ بالمقدارِ المسموح،

محاصراً بالخطر من كلّ جهة،
كنّا هناك وهم رأوا، انحسرتْ محيطاتُ الغابات،
تقدّم السمُّ، الملحُ، القحطُ
وانقضتْ أحقابٌ بينَ الصخورِ المسنّنة والمغائر،
وبعد كلّ حقبة كانوا يقولون: "كنّا في ضلال".
**

قرّرَ أن يفرّ
من وجه سيّده الظالم.
الوقتُ المناسبُ
كأنّه متواطئ معه
هرِعَ وهمسَ بأُذن الشمس
عن مظالم تُرتَكَب جهاراً نهاراً في الأرض
ويسود ظلُّ القوّةِ الغاشمة.
صدَّقتِ الشمسُ إذ رأتْ بأمّ عينها وأبيها.
استقرّتْ في كبدِ السماء،
هبرجتْ، توهّجتْ،
ودلقتْ نيرانَ السعيرِ صوبَ الأرض.
رأى سيّدَه يصيبُه الذعرُ
ويطير إلى دارته محتمياً بها منها.
لم يتردّد،
وهو طالما كان يتردّد،
وانطلقَ راكضاً لا يلوي على شيء
كأنّه سهم،

ولكن لا يعرف الوجهة
أو إلى أين؟،
لكن يعرف أنّه يجب الإبتعاد ما أمكن.
والريحُ تعبثُ بشعرِه
ظلَّ يعدو
حتى بلغ أرضاً مقفِرةً عندها بئر ماء.
تذكّرَ،
وهو قلّما أيضاً يتذكّر،
إنّها بئر السباع،
على ما سمع من سيّدِه مرّةً وقد شربا منها،
وإسم البئر مقتبس من حادثة إعتداء سبعٍ مستهتِر
على حمارٍ للزير سالم أبي ليلى المهلهل
الذي غضب وانقضّ على كلّ من يقول إنّه سبع
ثم انقضّ على المستهتِر إيّاه وأشبعه لكْماً وركْلاً
ولم يكفّ عنه حتى سمعَه يبكي ويرجوه
قائلاً: "بعرضِك أيّها البطل الزير
سامحني لن أستهتِر بعدَ اليوم أبداً".
إمتطاه إلى مضارب العرب
ليكون فِرجةً وهو ينهره قائلاً له: "حاااا،
هذا مصير كلّ من يستهتر".
لكن ذلك انقضى والزير مات،
ومن يدري أن يكون بعضُ السباع قد فرّ
ثمَّ بلغَه نبأ وفاة الزير
ورجع إلى الناحية غير هيّاب ليقتل ويسلب؟.

وفرّتْ قبّرةٌ
من عشّها الأرضيّ،
فزِعَ أن يكون بالجوار أسد غدّار
ويريد له أو به ما يسوؤه،
هبَّ ناجياً بجسمِه وروحِه.
وكذلك حتى هو عند مَشارف مسافة
جرداء على إمتدادِ النظر،
ولكن فيها شجرة وحيدة ضخمة
ترفع عالياً قميصَها الأخضر،
وكأنّما هي لكفيف
يبحث في هذا العماء عن بَصَر.
وهو يقترب أكثر
رأى عندها مُسِنّاً
هو عين أحد بني جنسه
يقتعد حجراً
ومستغرقاً بجهازٍ أمامه
ولا يلتفتْ
إلى من يكون هذا الذي يقف خلفه
ولا ماذا يريد منه،
حيّاه بالزفير والشهيق الذي هو عين النهيق،
لربّما هو من الجنّ الشرّير
فيضجّ مِنَ النهيق ويفرّ أو يختفي،
لا ضجّ، لا فرّ أو اختفى،
ولكنّه قال،

وهو لا يحيد النظر
عن شاشةِ جهاز اللابتوب:
"لا تخفْ،
لستُ يا بنيّ جنيّاً،
أنا أحد بني جنسِك،
وأنت أحسنتَ إذ فررتَ مِنْ وجه سيّدِك
الذي لطالما ضربك
وأهانك بأمِّك وأبيك وعمومِ أهلك،
ولكنْ أكثر ما استفظعتَه منه
أنّه وحده كان يفوز بالأطايب
كاللوز الأخضر والجوز المقشّر
والفريز والكرز والموز أبي نقطة،
وبالكاد كان يرمي لك قشوراً أو الفتات،
وحتى مرّة بلغَ السيلُ فيك الزبى
حين التهم وحده سلّةَ توت شامي شهي
ولم يلقّمك ولو حبّة توت واحدة".
ثمّ التفتَ ورآه،
ودعاه إلى جرعة ماء
من دلو في تجويف جذعِ الشجرة.
شرِبَ،
وبإختصار شديد ما عليه مزيد
قال: "أنقذني يا شيخي،
أنا من الآن مريدك
ولن أنسى صنيعك ومعروفك ما حييت".

قال المسنّ واقفاً ومشيراً غرباً:
"غرباً حتى تصل يا بنيّ إلى شاطئ بحرٍ أجاج،
اعبرْه غرباً أيضاً
وستصل ميناءً ترفرف عليه راية شعارها عظام وجماجم
لبلاد يُقال إسمها آنسات ونواعم،
ومن فورك إسأل عن كلّيّتَها العسكريّة
وادرسْ عليها ليلاً مقابل العمل بالمجّان لأساتذتها الجبابرة نهاراً،
وفي آخر السنة الدراسيّة سيكون إمتحان
وأنتَ وشطارتك، أي بحسب نتيجتك:
"وسط"، "جيّد"، "جيّد جدّاً"،
أو "ممتاز مع مرتبة الشرف"،
وستنقلب إلى ذئب أو ضبع أو فهد أو أسد".
وتعاكَسَ وهو في مكانه
كأنّه آلة وأشار شرقاً وقال:
"أو إمضِ على بركةِ الله شرقاً أيضاً،
وبعدَ مسيرةٍ غير يسيرةٍ وربّما عسيرةٍ
ستشرف على صحراءِ رمل
ولا صحراء الربع الخالي أو الربع الخراب،
اعبرْ فيها شرقاً كما لا تزال
حتى تصل إلى واحةٍ مخرَّبة
وسيأتيك منها صوتٌ يقول لك:
"تأخّرتَ كثيراً يا أبا صابر".
ومن لا مكان
سينبثق جمَل وسيحملك إلى ديار

رايتها تعجّ بالدجاج
ويُقال إسمها الكتكوتيّة،
التحقْ مِنْ فورك بكلّيتها،
وفي آخر السنة الدراسيّة
سيكون إمتحان يُكرَم المرء فيه أو يُهان،
وأنت وشطارتك
بعدَ الحفظ والحفظ والحفظ
وقد تنقلب إلى غزال أو وعل أو.."،
وقبل أن ينهي كلامه
قاطعه المريدُ قائلاً:
"بل غرباً،
أريد أن أكون آكلاً لا مأكولاً".

ودخلَ بلاد العظام والجماجم أو الآنسات والنواعم
والتحق بكليّتها العسكريّة واجتهد بصبرِ حميرٍ مجتمعة
ونجح بدرجةِ ممتاز مع مرتبة الشرف.
وفي حفلِ التخريج أَلصقوا على صدره ورقة بحجم كفِّ اليد
وقالوا مكتوب فيها: "أنا الناب والناب أنا،
أنا الأسد الرئبال، أنا قاتل الرجال ومسبي النساء والأطفال".
حاولَ أن يقرأ ما هو مكتوب،
قالوا له لا تحاول،
فالمكتوبُ ليس بالحبر الأسود الصيني
بل بالحبر الأبيض السرّي.
وهو في مرقدِه ليلاً

متباهياً بحالِه وبالعزّ الذي بات يرفل به
خطر على باله سيّده الظالم
وحدّثَ نفسَه بالإنتقام.

وفجراً حملَ كلاكيشه
ملقياً بها على ظهره وبوجهه إلى الميناء
وعبرَ البحرَ الأجاج المتلاطم الأمواج بعد أهوال
وبلغَ ركضاً أرضَ الخلاء وشيخه وتمنّى في سرّه
لو لديه وقت ليمرّ عليه ويحيّيه
ويشكره على مشورته وحسن صنيعه ومعروفه.
واجتازَ منطقةَ بئرِ السباع
حتى هو أخيراً عند مشارف موطنِه الأوّل.
رآه، يا لسعدِه، أوّل من رأى، إنّهما وجهاً لوجه،
سيّدُه ينظر إليه مندهشاً، قال المرسوم أسداً:
"حقّك أن تندهش،
أنا انقلبتُ إلى أسد،
والآن وليس غداً سأجازيك
على جميع شرورك وبلاويك،
سأثب عليك، سأنيّبك،
سأمزّقك، سأزلطك زلطاً،
ولكنْ ليس قبل أن أملأ قلبَك رعباً
يليق بك وبأمثالك،
وتموت ألف ميتة قبل ميتتك الأخيرة".

ولم يؤجّل، كما قيل ويُقال، عملَ اليوم إلى الغد.
رفعَ صوته بالزئير المرعب وردّ الصدى بالنهيق المضحك.
رفعَ صوته مجدّداً بالزئير وسمع الصدى من جديد يردّ بالنهيق،
لم يُصدّق،
حاول مرّة ثالثة والنتيجة ذاتها،
تفحّصَ أسنانه، لم يلحظ ناباً أو ناتئاً.
قال سيّدُه: "أُقسِم أنّ أنتَ هو أنت"،
وأضاف بعد أن سلخ الورقة التي بحجم كفِّ اليد عن صدره
وقلّبها جِيْداً وقفا ونتّفها تنتيفاً ورماها إلى الهواء:
"أوَتعمل حالك أيّها المعتوه مهرّجاً؟،
أين كنت سنة كاملة هاااه؟،
أنا أشقى وحدي وأنت داير على حلّ شعرك"؟.
وقفز كأنّه غضنفر بخفّةِ نمِر هندي
وقبضَ عليه من خناقِه وقال بغضب:
"لأجعلنَك تلعن يومَ مولدك".

وبعدَ فترة مِنْ هذا اليوم المشؤوم
قرّر أن يفرّ مجدّداً في الوقت المناسب،
وكأنّما الوقت المناسب متواطئ معه أيضاً
أسرع وهمس للشمس عن مظالم
تُرتكب في الأرض لا أوّل لها ولا آخر،
وفرَّ تحت غطاءٍ مِنَ اللّهب الآتي مِنَ عين الشمس
الغاضبة بعدما رأتْ،
واجتازَ بئرِ السباع مترجِّماً على الزير

الذي لم تنطفئ له نار ولم يُذلّ له جار،
وبلغَ مشارف الخلاء
إلاّ من الشجرة وشيخه عندها
لا يزال ومستغرِقاً باللابتوب.
وقفَ خلفَه دون أن ينبس ببنت شفة
على رغم ارتعاد فرائصه،
قال له شيخه ولم يلتفتْ:
"حمداً على السلامة،
كُتِبتْ لكَ النجاةُ يا بنيّ مرّةً ثانية
قلّما تتكرّر في التاريخ".
والتفتَ ليراه على حالٍ تصعب
حتّى على القلبِ الحجر.
أنحنى وهو يحني رأسَه تأثّراً ممّا رأى،
لكنّ المريد منفجِراً بكاءً قال:
"إرفعْ رأسك يا شيخي،
إنّها عصيُّ المايسترو سيّدي
حفرت أثلامَاً في أنحاء جسمي.
سمعتُ مشورتَك
وعملتُ بها كما يجب،
هل تراني انقلبتُ حقّاً ذئباً أو، أو أسداً؟،
أحلفُ أنّك ولا تراني حتى حماراً فضلاً عن جرذ،
ماذا أنا جنيتُ أو على من افتريت
حتى سيّدي ضدّي وشيخي أيضاً ضدِّي؟،
أم أنا زبدٌ وهو مؤيّدٌ حقّه أن يدوس عليّ؟،

لماذا أعنتَهُ يا شيخي"؟.
وبكى مِنْ فؤادٍ مجروح،
وبكى شيخُه بكاءً مرّاً تأثّراً
حتى جرتْ من دموعهما ساقية
حفرتْ لها في الأرض أُخدوداً.
أخيراً وقد جفّ الدمعُ المدرارُ قال المسنُّ:
"لا يا بنيّ لستُ ضدّك ولم أعنه عليك".
وحثَّه أن يقرأ سطراً بالبنط العريض
يظهر جلياً على شاشة اللابتوب
وهو لتقرير سرّي تمَّ تسريبه
يفضح نيّةَ الخصوم إتجاهه وإتجاه قومه
ولكنه سرعان ما ذاته قرأ:
"يجب، ومِنْ أيّ سبيل، أن نمنع وحدة البرابرة"،
والتفتَ غرباً ثمّ شرقاً، ثمّ غرباً ثمّ شرقاً،
وصاحَ منفجِراً كأنّما فيه مسّ
فيما السماء تتّشح بالسواد
وكلّما تتلبّد بالغيوم وتتجهّم أكثر
وفيما البرق والرعد يزمجران
وكلّما يقتربان منهما: "هذه مجزرة،
يا أيّها المجرمون، هذه مجزرة".

**

العينُ تراها العينُ
والعقلُ يدركُه العقل،

عينُ النظام في عينِ عينِ العبث.

في الداخل في بطنِ "في"،
المكانُ على رأسِه أكثر، المكانُ شائكٌ أكثر،
المعادلةُ هي لذاتها وبذاتها و"الموتُ والحياةُ توأمان".

الطقسُ
فوضى مِنْ كلّ ناحية،
الخروجُ أوّلُ الأثر وامّحاؤه،
الدخولُ خناجر، ظهورٌ مكسورة،
عالَمٌ في كلِّ عالَم،
حواجز خلف كلّ حاجز
وعينٌ ولا طريق.

أضاءَ
ولا يزال في عتمة،
أمكنةٌ عليها الرملُ يتراكم،
الصبرُ الحكيم رأسُ الحكمة
ويقول وكلّما لا يصل.

**

واشتعلتِ الحربُ،
واستبسلَ أيّما استبسال،
كانت مهمّته أن يشيل على ظهره

خلل الغابات البكر والأودية السحيقة
والممرّات الضيّقة عندَ أكتاف الجبال الشاهقة
إلى خطوط النار الأماميّة
أثقالَ المؤن والأعتدة الحربيّة
ويرجع بالمحمومين أو المرضى والجرحى والقتلى.
رقّوه منْ شيّال إلى عتّال،
ثمّ بعد إنجازات لا تقلّ خطورة
رقّوه من عتّال إلى حمّال،
والحقّ يُقال:
كان يحظى مع كلّ ترقية مكتسبات أو إمتيازات،
كان مثالاً لا حصراً يقتات مِنْ قليل ممّا ينجم في الأرض
وصارت له مائدة تعجّ بأصناف الأطايب
كالفول الأخضر أو الفول المدمّس
وعرانيس الذرة الخضراء أو المغليّة
والبطاطس المقليّ والقمح المشويّ،
وكان يستحمّ فيما هو تحت وابل المطر
أو فيما هو يخوض في نهر
وصار له معاون يحمّمه بالماء الدافئ
أو الساخن بحسب المزاج،
وينشّفه بالمناشف،
ويعطّره بأجود العطور الباريسيّة،
وكان يشرب من مياه البرك
التي تعجّ بالعلق
وصار يشرب مياهاً معدنيّة،

ولكنّ المُحال هو أن يستقرّ حال على حال
وخصوصاً أن مقاومة أهل البلاد المغزوَّة لم تتوقّف
اعتماداً على حرب العصابات أو حرب التحرير الشعبيّة،
وصار للجيش الخميس الغازي ما كان عمليّة جراحيّة بسيطة
عمليّة جراحيّة دقيقة مرعبة فيها حياة أو موت،
وفي آن شحّتِ الموارد التموينيّة
لإنقطاع خطوط الإتّصال
بتدبير حكيم من قادة المقاومين
ما عنى واجب التقنين
بأمرٍ صارمٍ من الكولونيل جرادشتاين قائد الغزاة،
وأوّل ما أصابَ هذا التقنين،
ولسوء حظّ الحمّالَ،
الحمّال ذاته،
حتى أتى له على مجمل مكتسباته،
وحتى طلب مرّة قنينة ماء يكسر بها عطشَه
فأعطوه واحدة فارغة، وقالوا:
"إحفظ فيها بولك الأصفر ليومك الأغبر".

وطال أمدُ الحرب أكثر،
وساءتْ أخلاقُ أخوة السلاح أكثر
حتى رآهم بأمّ عينيه وأبيهما يفتكون بلا شفقة أو رحمة
بالأسرى المدنيّين
ويلقون جثامينهم في الطرقات المقفِرة
لتكون نهباً للمناقير والجرذان والذباب والديدان،

ورآهم بأمّ عينيه وأبيهما يغيرون على قرى آمنة،
بيوتها أشبه بأعشاش العصافير،
ويضرمون نيران السعير فيها،
ومن يفرّ يدرزونه بالرصاص
ومن يظلّ إحتماءً يموت اختناقاً أو إحتراقاً،
ورآهم كيف يقتلعون عيونَ شعراء وكتّاب
ومعلّمين وفنّانين
من محاجرها
ويلقونها في الأنهر علفاً
لأسماك البورونا الشرسة،
وحتى لم يعفّوا عنه،
ومثالاً كانوا إذا أرادوا التقدّم
يأمرونه قائلين: "إلى الأمام سر"
وصاروا يأمرونه مستهزئين
قائلين: "حاااا"،
وكانوا إذا أرادوا أن يخيّموا أو يُعسكروا فجأة
يقولون له : "مكاااانك" أو "قفْ"
وصاروا يأمرونه بقرف قائلين: "هشّ".

وحلاًّ للحال الذي هو عليه
طلب قائد الغزاة الكولونيل جرادشتاين،
من مشغّليه في بلاده الأمّ،
مزيداً مِنَ الدعم
بالعديد والمعدّات التكتيكيّة والإستراتيجيّة،

إذا أرادوا أن يحسم مهمّة تنصيب الديمقراطيّة ملِكة
أو إنتصار الديمقراطيّة على الديكتاتوريّة
أو إنتصار المدنيّة على البربريّة أو الوحشيّة،
ووصَلَهُ المددُ بعد طول أخذ وردّ ومشقّات،
وامّحتْ مطارح عن الخريط الجعرافيّة
ومات خلقٌ كثير.

وعلى رغم إنجازات الغزاة وكانت كلّها رهيبة
فإن مقاومة أهل البلاد الأصليين لم تضعف ولم تهن
بل اشتدّتْ بعدما تضاعف عدد المقاومين،
كانت كلّما استشهد لها مقاوم
يحلّ مكانه إثنان وأربعة أكثر صلابة أو شجاعة،
وحاصود الموت شغّال عن جنب وطرف
حتى وقعتْ عينُه على الحمّال.
لم يعجبه شكله أو لسببٍ سرُّه عنده.
طارده في الأودية والسهوب
والجبال والبحار وأينما كان
من دون القدرة على جرحه فضلاً عن قتله،
وحاصود الموت بالنهاية لا يستطيع أكثر ممّا يستطيع،
ومع ذلك أصرّ حتى أصيب بمسّ
وأقسمَ أنّه لن يهدأ له بال ولن يهنأ له حال
حتى يرى الحمّال مجندلاً.
كمنَ له تحت حجر
عند ممرّ ضيّق في أعالي جبل.

دعسَ الحمّال على الحجر.
هزله له الحاصود من تحته
لكي يختلّ توازنه ويسقط
هو والحمولة الثقيلة
إلى الأسفل
حيث الصخور المسنّنة
والموت المحتّم،
لكنّه بأعجوبة توازنَ
ونجا.

أشار الحاصود إلى المقاومين
أن الحمّال ذاته هو كبير العدوان
هو ذاته الكولونيل جرادشتاين متنكّراً
وأنه عند نهر مع فرقة عسكريّة من خاصّة خاصّته،
قصفتْهُ المقاومةُ بالكاتيوشا بلا هوادة.
أُبيدتِ الفرقة إلاّه،
زحفَ على بطنه بطيئاً ومسرعاً
حتى خرج من دائرةِ الإستهداف ونجا.
همسَ الحاصود لذبابة
معتمداً الحرب النفسيّة الأخطر
أن تطنّ عندَ أذن الحمّال
وإلاّ نزع روحَها من قلبِ قلبها،
ثمّ أوحى للحمّال الذي انهالتْ عليه المصائب
وانهارتْ أعصابُه

من الخوف والجوع والعطش والتعب
أنَّ الطنين هذا ليس هو غير عين هدير صاروخ
عابر للمحيطات والقارّات
ومزوَّد بمعلومات
ألاّ ينفجر إلاّ وهو داخل رأس الحمّال
داخلاً إليه مِنْ طريق إحدى أذنيه.
وأُصيبَ بصعقةٍ،
فمرّة هو ينهق ومرّة هو ينعق،
ومرّة هو يبكي ومرّة هو يضحك،
ومرّة هو ينبح أو يعوي ومرّة هو يصرخ،
حتى أغمي عليه ولكن لم يمت.

وصدر عن المقاومة منشور تستنكر فيه
أن تكون الديمقراطيّة التي يرفع لواءها الكولونيل جرادشتاين
تعني حقّ الذئب أن يفلت بين الحملان،
وأكّدت أنّ جرادشتين يريد ثروات البلاد الطبيعيّة
وليس غير ثروات البلاد الطبيعيّة،
وأنّها مصمِّمة، تحت أي ظرف،
على الإستمرار بالنضال والكفاح
حتى النصر الذي سيكون من نصيبها،
وسيكون الزوال من نصيب الإحتلال
عاجلاً وليس آجلاً.

وكان لها ما أرادت،

وبدأتْ قلاعُ الإحتلال تتساقط
الواحدة تلو الأخرى
حتى لم يبقَ له غير سطح مغارة كانت سفارة
حطّتْ عليه مروحيّة عسكريّة
وفرّتْ بما حملتْ بسرعة وانهماك
فيما حبلٌ يتدلّى منها
قفز إليه الحمّال وتعنزق به
راجعاً هكذا إلى ديرته
ناجياً بروحِه ولكنْ ليس بكلّ عقلِه.

**

هذا أنت المساء المكسور،
ما انقطع يتّصل قبل فوات الأوان.

ذاته الغريب
ويتساءل إذا يوجد غرباء؟.

المحوَرُ مائل
والأرضُ تدور.

_ دار الغاوون _ 2010 _ 2011 _ بيروت.
_ تصميم الغلاف للفنّانة مايا سالم.
لوحة الغلاف للرسّامة التشكيليّة سوزان تاننت.
Shawkimoselmani1957@gmail.com

(الشاعر شوقي مسلماني في جديده الشعري: محور مائل _ الشيء وضدّه)

_ بقلم الشاعرة والكاتبة عناية جابر

تدهشنا رؤية شاعر يقف بعنف، بكلّ قواه، ضدّ كلّ ما يشكّل قصيدة التفاصيل، تمثّل تمرداً هائلاً لكائن غير متكيّف مع عالمه، ومجاهد عنيف في نفس الوقت، لخلق عالم آخر لنفسه، على مقاس أحلامه. حيث يستمدّ الشاعر قوانينه الأدبية من نفسه، ويطبّق على الفور، رؤيته الشعرية الخاصّة.

قصيدة النثر التي سبق أن أكّدت على جوهرها الفردي والفوضوي، تقدّم في عمل مسلماني الشكل الأدبي لتمرّد ضد الثوابت. دائما الشيء وضدّه، بلغة مختلفة تترجم العالم. في السطور صرخات يأس وإقرار بهزيمة ما، وفيها الصمت والموت. مناخ عن عالم مغلق، غير قابل للإختراق، لكن يمتلك منطقه الخاصّ، ووحدته، وقوانينه الحيويّة.

الجانب الهدّام في عمل شوقي هو هذه الرقّة المتوحّشة التي سيترك الشاعر نفسه لها: "بعضُه أقبلَ مشرِقاً \ بعضُه آفلاً معتِماً \ بعضُه اختنقَ صوته \ امّحى أثرُه \ وها هو منه حجر \ بعضُه وحده \ وعلى مسافةِ مئات ملايين الأميال \ مِن كوكبنا \ يصطاد

بقصبةٍ مِنْ ضوءٍ \ تنهيدةً \ في النهرِ اليابس \ بعضه عند قمّة جبل \ ولكي يطلعَ الفجرُ مطمئنّاً \ يقف شامخاً كتمثال \ وشجرةَ تفّاحٍ \ سرقتْ تفّاحتَه الوحيدة."

الواقع أنّ بعضاً من "أناشيد" مسلماني، يمكن قراءتها كميل خاصّ لمزاج الشاعر، يمنحنا الإحساس بضيق شبيه بذلك الذي نشعر به عند قراءة تراجيديّات قديمة. وإذا كان من غير الممكن إنكار الجانب التهكّمي والساخر في بعض المواقع لدى مسلماني، فمن المدهش أن نلاحظ أنّ نزعة السخرية الهدّامة لا تسيء هنا الى أصالة العمل، فبدونها لن يكون للمجموعة القوّة الشعرية وإمكانيّة التأثير فينا بعمق. ولا شكّ أنّ ذلك يطرح مشكلة معرفة كيف يمكن لهذا البعد السلبي في متن الأفكار أن يتعايش مع خلق عالم شعري، عالم غامض، لكنّه مخترق بالاشراقات، وكيف يمكن لقوّة التهكّم العقيمة ألا تصيب ذائقة المتلقّي بالتعب، بل هي على النقيض، تشعّ تعبيراً عن ارتعاشات حيويّة فياضة.

في عمل شوقي مسلماني، علينا الذهاب في ما يبدو، الى أبعد من هذا التناقض الظاهري، وعلينا القبول بما يدعى الجنون الفعّال للشاعر وقصائده. ثمّة أيضاً ديناميّة العمل هذه، وحقيقة أنّه في أساسه هجاء للعالم يفسّر الشكل الخاصّ الذي تتّخذه القصائد. لن يكون من الخطأ أيضاً وجود نوع من السرد في القصيدة، وقد يستمرّ في بعض القصائد على امتدادها، ولن يكون خطأ آخر اعتبار المجموعة قصائد نثر، مقطّعة شعرياً بطريقة مستقلّة، تترك وتستعيد، وتحوّل الموضوعات المختلفة على نحو يحقّق مناخاً أو تبريراً للإستمرار من مقطع شعري الى آخر، والاستطراد المستمرّ، رغم هذا، من أوّل نشيد الى الأخير.

ثمة إذن في مجموعة مسلماني، حدث متتابع بحلقات مختلفة، وهي رغم شكلها الخارجي المتنافر أحياناً، ليست متروكة بشكل مطلق للصدفة. هناك منطق ما، وضرورة ما تنحو الى أن تجعل، لا كلّ قصيدة فحسب، بل كلّ سطر في المجموعة، كلاً

متكاملاً. "رأيتُه يرى المساحةَ الخضراء \ رأيتُه يرى المساحةَ الرماديّة \ رأيتُه لا يرى المساحة، رأيتُه تحتَ المساحة \ رأيتُه يحرث ويبذر في المساحة \ رأيتُه يحبُّ ويرى الزهورَ والورود \ يصغي لشدوِ الطيور \ عندَ المساحة."

إنّه خلق عالم فانتازي، هنا العنصر الذي يجعل من السطور شعراً بأكثر من كونها سرداً لما هو واقعي، فلا علاقة للشاعر برصد الواقع مثلما لا علاقة له برصد الطبائع. في المشاهد التي تقترب من أن تكون روائيّة نشعر كقرّاء على الفور بأنّنا "مغتربون" ومنقادون خارج عالمنا المألوف. فانتازيا تتمثّل في إدخال الخليط، والتراكب بين عالمين، فمسلماني ماهر في فنّ قلب العالم الحقيقي، الذي يرفعه ويشقّه، ضغط جمال غير مرئي. هذا المسعى الشديد الخصوصيّة الذي يقود قصائد مسلماني، من رومانطيقيّة معتدلة إلى حدّ ما ومتوقّعة إلى فوضى جامحة لا تخشى أن تهدم كي تؤكّد بشكل أفضل فرديّتها، وهو ما يفسّر الإنتقال من قصيدة النثر التي لا تزال شديدة الأدبيّة إلى انفلات متفجّر، لكنّه إرادي حرّ وجذّاب.

_ نُشِرت في جريدة الأخبار البيروتيّة.